مجلة العلوم الانسانية الدولية، ۲۰۱۱/۱٤۳۲ هـ.ق، العدد ۱۸ (۳) ۱۷-۳۱

تجليات المكان في شعر عزالدين المناصرة

رقية رستم پورملكي[۱]

تاريخ الوصول: ۱٤۳۱/٥/۲٦ تاريخ القبول: ۱٤۳۱/۸/۲

لعل من أبرز مميزات بنية النص الشعري العربي المعاصر خاصة الفلسطيني، حضور عنصر المكان بأشكال و أهداف مختلفة و تعامل الشاعر معه. حيث انفتح الشاعر الفلسطيني المعاصر على الأمكنة المتعددة، قريبة أو بعيدة، عربية أو غربية، عاش بها أوزارها، و أخذ يتواصل معها و يعبر عنها. و ذلك من أجل التعبير عن الذات و استحضار التراث و التأمل في الحاضر.

يعد عزالدين المناصرة من الشعراء الفلسطينيين الذين سيطر المكان على نصوصهم الشعرية إذ دار معظم شعره حول الأمكنة بما فيها المكان الفلسطيني و العربي و الغربي حيث لاتخلو قصائده من فضاء المكان و صورة المكان و هو مبدع شعرية المكان. كما أن الزمان و المكان يتداخلان في بنية قصائده الشعرية.

يستهدف هذا البحث خلال المنهج الوصفي – التحليلي، إطلالة عامة على صورة المكان عند المناصرة و بيان تجلياته و كيفية تعامل الشاعر و تواصله مع المكان و ذلك على أساس أعماله الشعرية التي طبعت ۲۰۰٦ م في مجلدين والمجموعة الأخيرة التي نشرت ۲۰۰۹م.

الكلمات الرئيسية: المكان، عزالدين المناصرة، الشعر الفلسطيني المعاصر، المنفى، الوطن، الزمكانية.

[۱] أستاذة مساعدة، جامعة الزهراء (س)– طهران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

المقدمة

الشاعر الناقد عزالدين المناصرة ولد في فلسطين عام ١٩٤٦م، غادر فلسطين عام ١٩٦٤م إلى القاهرة، حصل على ليسانس في اللغة العربية و العلوم الإسلامية ١٩٦٨م، نال درجة الدكتوراه في الأدب المقارن في جامعة صوفيا ١٩٨١م، عمل مذيعاً و صحافياً في عمان و في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ١٩٧٠-١٩٨٢م، غادر بيروت بعد حصار ١٩٨٢م، عاش في تونس و الجزاير في الفترة ما بين ١٩٨٢- ١٩٩١م، سمح له بالعودة إلى الأردن ١٩٩١م، انتخب ١٩٩٤م عضواً في لجنة الإصلاح الديمقراطي الفلسطيني بعمّان، عارض بشدة اتفاقيات: اوسلو و الخليل. عمل أستاذاً للأدب المقارن في كثير من الجامعات العربية، يعمل أستاذا منذ ١٩٩٥م حتى الآن بجامعة فيلادلفيا بعمّان. له أعمال شعرية طبعت في مجلدين ٢٠٠٦ م كما له أكثر من عشرة كتب نقدية. (المناصرة، ٢٠٠٧م ، صص٥٦٩ -٥٧٤ و٢٠٠٩م، صص١٠٩-١٠٤)

يلعب المكان دوراً هاماً و حاسماً في تكوين حياة البشر و ترسيخ كيانهم و تثبيت هويتهم و تأطير طبائعهم، و بالتالي تحديد تصرفاتهم ، تتضاعف أهمية المكان في الأعمال الأدبية لكونه عنصراً من عناصر البناء الفني. يعتقد غاستون باشلار أن المكان: «ما عيش فيه لا بشكل وضعي بل بكل ما للخيال من تحيز ، وهو بشكل خاص ، في الغالب مركز اجتذاب دائم» (غاستون باشلار، ١٩٨٠م، ص١٧٩) وترى اعتدال عثمان أن المكان «لايقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً ، ولكنه فضلاً عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني، أو الجهد الذهني المجرد» (اعتدال عثمان، ١٩٨٨م، ص٥) و يرى عزالدين اسماعيل أن " حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية للمكان ليست إلا وسيلة" أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية. (عزالدين اسماعيل، ١٩٨٨م،ص٦٧) و نظراً لأهمية المكان في الأدب بسبب إحساس المبدع العميق تجاهه لا سيما الشاعر المعاصر الذي تعرضت بلاده للغزو والإحتلال، فهناك أماكن تجذب نفوسنا حيث نستقر فيها و أماكن تطردنا، فالإنسان لايحتاج إلى مساحة جغرافية يعيش فيها ، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره ويتأصل فيها بهويته. من هنا يندغم لدى الشاعر الإحساس بالمكان الفردي و المكان الجماعي لدرجة يصعب معها التفريق بينهما أحياناً. إضافة إلى أن المكان أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي و تشكيلي من عناصر العمل الفني.(الطيب هلو/٢٠١٠/ ص١/ www.essanad)

و من الناحية الإجتماعية، فالمكان عبارة عن«الكيان الإجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه؛ و لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار و وعي ساكنيه» (ياسين النصير، ١٩٨٦م، ص١٧-١٦)

فالمكان و بخاصة الأليف كالبيت- كناية عن الذات و لذلك فكل عدوان يتعرض له المكان يعتبر عدواناً على الذات، باعتبار أن تصاعد العدوان انتقال رمزي من المكان الرمز للأنا «البيت» إلى الأنا ذاتها (سامى اسعد، ١٩٨٥، ص٩٥).

ليس المكان إذن ذلك المكان المعطى الخارجي المحايد، الذي نعبره دون أن نأبه به ، و إنما المكان حياة لا يحده الطول و العرض فقط، و إنما خاصية الإشتمال. و الذين يدرسون الشخصية في معزل عن المكان و الزمان إنما يسلبونها شطراً ذا خطورة معتبرة في تحديد سماتها و تشخيص سلوكها و تحديد أهدافها و مقاصدها.(حبيب المونسي، ٢٠٠١م، ص١٦)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

و الشاعر عزالدين المناصرة اعتنى عناية فائقة بالمكان و توظيفه في نصه الشعري و أبدى آراء قيمة في موضوع المكان أثناء دراساته و هو شمولي في نظرته للمكان بغض النظر عن الأهداف التي يتوخاها من توظيفه له، ذلك أن شعرية النص لاتقاس بمدى ورود الأمكنه في النص و ذكر هندستها و تواريخها و إنما تقاس بطريقة التعامل معها داخل النص و استخدامها في البنية العامة له بوعي فني متميز يعيد صياغة الأشياء و الأمكنة و ترتيبها ترتيباً محكماً إن كان على المستوى الفني أو على المستوى النفسي (رزوقة، ٢٠٠٦م، ص ١٥٥).

إن المكان عنصر أساسي متجذر في شعر المناصرة منذ البداية و حتى اللحظة الراهنة و من أهم مكونات شعريته، ففيه يتمثل وعي و رؤية و تفسير الشاعر للتاريخ ، و من ثم فهمه للحظة الإقتلاع من الأرض و نفى أهلها منها. لهذا نراه يعيش حالة التوتر أمثال بقية الشعراء الفلسطينيين منذ هجرته الأولى خارج المكان/ الوطن .

من الدراسات المسبقة في الموضوع ما جمعه يوسف رزوقة تحت عنوان «عزالدين المناصرة شاعر المكان الفلسطيني الأول» ٢٠٠٨ م و الذي يشمل بعض الدراسات العابرة التي كتبها النقاد و الأدباء عن بعض قصائد عزالدين المناصرة و لو أن هذا البحث أفاد منه كثيراً، لكن الكتاب يفتقر إلى منهج معين في تقديم الموضوعات.

كما أن هناك مجموعة تحتوي على حوارات مع الشاعر تدعى شاعرية التاريخ و الأمكنه ٢٠٠٠م و التي تضم مقابلات عزالدين المناصرة الصحفية و غير الصحيفة التي أجراها بعض الباحثين، و تشمل آراءه في شعره و التعريف بالأمكنة المتمثلة في أعماله و هو يعترف في كتابه جمرة النص (٢٠٠٧م) بإنما لم تنشر أى دراسة عن المكانية في تجربتى الشعرية ماعدا اشارات صحافية عابرة من قبل بعض النقاد (عزالدين المناصرة ،٢٠٠٧م، ص٢٧٤).

و من الدراسات الأخيرة ما كتبته فتحية كحلوش الباحثة الجزائرية تحت عنوان «بلاغة المكان في مكانية النص الشعري» (رسالة ماجستير، جامعة قسطنطنية، الجزائر، طبعت ٢٠٠٨م) حيث ركزت على دراسة النص المكاني و النص الشعري و ما يخص المكانية عبر آراء النقاد الغربيين و ذلك على أساس نماذج شعرية لعزالدين المناصرة و سعدى يوسف. و قد أكدت على المكان و الصور الإستعارية و التشبيهية و الرمزية و ما إليها.

نظراً لما يمتاز به الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة من شاعرية الأمكنة و حسن توظيفه للمكان في نصه الشعري و لما له من آراء قيمة في مجال التعامل مع النص المكاني، تحاول هذه الدراسة أن تلقي ضوءاً عاماً على تجليات المكان في شعره مستعينة بآراء الشاعر نفسه و بعض النقاد، إلا أن البحث لا يدعي أنه يتطرق إلى كل جوانب الموضوع و هذا أمر يتطلب دراسات متعددة.

دخل المكان قصائد عزالدين المناصرة منذ ديوانه الأول يا عنب الخليل (١٩٦٨م) ثم الخروج من البحر الميت (١٩٦٩م) و مذكرات البحر الميت (١٩٦٩م) و مروراً بقمر جرش كان حزيناً ١٩٧٤م إلى بالأخضر كفناه ١٩٧٦م و جفرا ١٩٨١م و كنعانيا ذا ١٩٨٣م و حيزية عاشقة من رذاذ الواحات ١٩٩٠م و رعويات كنعانية ١٩٩٢م إلى لا أثق بطائر الوقواق ٢٠٠٠م و لا سقف في السماء ٢٠٠٩م. حيث لانجد شعراً أو قصيدة لا تتعلق بالمكان حتى عناوين القصائد عنده مكانية. و بهذا يمكن اعتبار المناصرة شاعر المكان قبل كلّ شيء.

و بما أن الشاعر كتب هذه النصوص المرتبطة بالمكان عبر فترات زمنية متباينة تبعاً للأحداث و الملمات؛ لهذا يعد شعره المكاني صورة لحالاته النفسية و مشاعره الوجدانية و من مظاهر المقاومة الشعرية لأنه اتخذ منه وسيلة للدفاع عن حق الهوية الفلسطينية.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

يتمحور معظم شعر المناصرة حول الأمكنة حيث يؤكد أنه «لا أستطيع الكتابة بدون المكان» (عزالدين المناصرة، ۲۰۰۷ م ، ص ۲۷٤).

و المكان جزء لايتجزأ من بنية المناصرة الشعرية و قد انتبه إليه قبل أن يتطرق النقد الأدبي الحديث لمسألة المكان في اوائل الثمانينات. و ذلك بعد صدور كتاب باشلار «جماليات المكان» بترجمة غالب هلسا. (المصدرنفسه، ص۲۷٤)

يعتقد المناصرة «رغم أن المكان حيّز له كيان شبه مكتمل من وجهة نظر سكانه، و له حدود فعلية و حدود مجازية متصورة، إلا أن الحدود يمكن أن تخترق. المكان فضاء مغلق رغم أنه مفتوح، و هو فضاء مفتوح رغم أنه مغلق». (عزالدين المناصرة ،۲۰۰۷ م ، ص ۲٤٦).

أنواع المكان

يرى النقاد أن المكان حسب نوعية حضوره و تواجده في النص الشعري ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

۱.المكان الطباعي: المكان الذي يحتله النص على الصفحة، ذلك أن الكتابة ليست تنظيماً للأدلة على أسطر أفقية و متوازية فقط. إنها قبل كل شيء توزيع لبياض و سواد على مسند و هو في عموم الحالات الورقة البيضاء. (محمد بنيس،۱۹۹۰م، ص۱۱۱)

يدخل ضمن المكان الطباعي كل ما له علاقة بالنص و طريقة عرضه على الصفحة البيضاء بدءاً بحجم الكتاب مروراً بالورق و نوعيته و مختلف التقنيات الطباعية التي يوظفها الشاعر في تنظيم صفحته من فراغات و حواش و ألوان، و انتهاء بالغلاف و ما يحتويه من رسوم و ألوان (كحلوش، ص۲۳) فالنص الشعري المعاصر جسم طباعي له هيئة بصرية، مظهرية (شربل داغر، ۱۹۸۸،ص۱٥) يعتبر محمد بنيس المكان الطباعي دالاً نصياً. (محمد بنيس، ص۱۱۲)

يمكن القول إن الحديث عن المكان الطباعي في شعر عزالدين المناصرة لا يخرج في الواقع عن البنية العامة التي تحكم المكان في الشعر العربي المعاصر فقد ظل النص العربي ثابت المكان لزمن طويل ، و كان الشاعر و القارئ على حد سواء يعرفان حدود مكان النص مسبقاً. كما يقول محمد بنيس: فالشعراء العرب القدامى ملأوا بياض الصفحات بينما يبذل الشعراء المعاصرون مجهوداتهم كي يفرغوها. (المصدر نفسه،ص۱۰۱)

من مظاهر المكان الطباعي ما نجده في مجموعة" لن يفهمني أحد غير الزيتون"(ديوان بالأخضر كفناه، ۱۹۷٦م)، حيث كان عنوانه بخط أسود كبير على الغلاف الأبيض و يتخلل العنوان رسم باللون الأخضر يمثل غصن زيتون تماشيا مع دلالة العنوان اللغوي، و كذلك الشأن بالنسبة لمجموعة "قمر جرش كان حزينا" (۱۹۷٤م) حيث يطالعنا الغلاف برسم لمدينة غير ملونة كما لو كان القمر الشاحب انعكس عليها.(كحلوش، ۲۰۰۸،ص۱۳۲) لو أن هذه الرسوم من تصميم دار النشر و على حد تعبير الشاعر من أدلجت النص مكانيا.(المناصرة، ۲۰۰۷م، ص۲۸۸)

۲.المكان الجغرافي: وهو المكان الذي تدور منه الأحداث أو المكان الذي يغري الشاعر فيتحول إلى موضوع تخيل. و هو غالباً ما يحدد جغرافيا من طرف الكاتب، فإذا ذكر اسم المدينة مثلا فنحن ندرك تلقائيا الحدود الجغرافية لهذه الأماكن. (فتحية كحلوش، ص۲۳)

إن التعامل مع المكان لاينحصر في استعراض محتوياته و صوره بل ينبغي أن يُعايش كتجربة ، و لن تتم الكتابة عن مكان ما بنجاح، ما لم نعان من هذا المكان بغض النظر عن كيفية المعاناة. إن المكان الجغرافي يشمل بدوره أنواعاً كثيرة من الأمكنة يمكننا أن ندرجها ضمن قسمين كبيرين رئيسين هما: مكان الألفة، و مكان الغربة. (المصدر نفسه، ص۲٤)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

٣.الفضاء الدلالي /المكان الدلالي: ينشأ في النص الشعري من ترابط وانسجام البنية الصوتية والبنية المعجمية والبنية التركيبية . و يضاف إلى هذه الجوانب الجانب الطباعي، إذ أن المكان الموقع على بياض الصفحة هو المهيئ للفضاء النصي المنسوج من الدول المكتوبة و الممحوة في آن.

إن الأمكنة الموظفة في نص من النصوص الشعرية يتجاوز دائماً واقعيتها بمجرد تحولها إلى جسد لغوي إذ لا مكان خارج فعل المخيلة و بما أن المخيلة تحذف أحيانا و تضيف أحياناً أخرى فهي تضعنا دائماً أمام تعدد التوقعات ، و بالتالي يتجاوز التعبير الشعري المعنى الواحد، و يمنع القارئ على الدوام من فرصة تعدد قراءة النص.(المصدر نفسه)

و قد تميز استخدام المكان في نصوص الكثير من الشعراء بالذكر الجغرافي لأسماء الأمكنة دون التفاعل معها، أوتحويلها إلى رموز و أقنعة شعرية. و البعض تفاعلوا معه حتى أصبح المكان نسيجاً شعرياً لايمكن فصله من أجزاء الشعر. و يعد المناصرة من الشعراء الذين تجلى المكان بمظاهر و انواع متعددة في شعرهأ ذلك أن المكان جزء لايتجزأ من بنية شعره فهو يوظف المكان الجغرافي و الدلالي أكثر من المكان الطباعي.

طرق التعامل مع الأمكنة

١.الطريقة البلاغية: حيث يقصد الشاعر التعامل مع الأمكنة، ليقول إنه شاعر مكاني أو ليظهر حسبه لمكان ما. و يبدو النص كما لو كان المكان منفصلاً مستقلاً عن البشر، بل منفصلاً عن ذاته، فيستعير الشاعر أدوات العشاق الأوليين وانجازاتهم البلاغية، ليعيد انتاج عشقهم للأمكنة، دون أن يتعذب أو يعشق المكان إلا من بعيد.

٢.الطريقة الإلصاقية: إن لصق أسماء الأمكنة على قشرة شبكة النص، هى عملية ساذجة سطحية ، يظل المكان فيها نافراً وموازياً أو متقاطعاً مع النص، دون أن يصبح خلية من خلاياه. و هذه العملية السطحية تأتي من التعامل المقصود و الحيادي مع المكان. فالمكان في الطريقة الإلصاقية يظل ناتئاً عن جسد النص مثل الشعار الإيديولوجي. (المناصرة، ٢٠٠٧م، ص٢٨٧)

٣.الطريقة السياحية: طريقة التعامل مع المكان كما لو كان فولكلوراً مقتطعاً في قاعة عرض في فندق من الدرجة الأولى، فهي تتعامل مع المظاهر الخارجية السريعة الإدهاش مع شيء من الإنبهار بفولكلورية الأمكنة و قدمها و عتاقها. و قد تتمثل الطريقة السياحية في فلكلرة الحداثة التكنولوجية و اعطائها سحراً اصطناعياً.(المصدر نفسه، ص٢٨٨)

يحقق المكان سلطة الحضور في النص بوصفه رمزاً ليمتلك قدرة كافية على الإحتفاظ بثباته و قدرته على التصوير، و لا سيما إذا كان هذا الرمز مثلاً لدلالة شعبية لها أهميتها غير الإعتباطية على الذاكرة الجماعية إلى الدرجة التي تتحول فيها إلى رموز مكانية و تاريخية و نفسية حتى خارج النص.(عبيد، ٢٠٠٤م، ص١٣٤)

٤.الطريقة النقدية: النص المشبع له مكانية شبه متحركة، غير معزولة عن البشر. فالمكان إيقاع شامل يتسلل إلى خلايا النص، بل يصبح الخلية الأساسية فيه، بعيداً عن الإنبهار السياحي، الأمكنة جزء من التجربة الحياتية سلباً أو ايجابياً. وهي أيضا جزء من النص. و الشاعر يقرأ أسرار الأمكنة وخفاياها و يقرأ جغرافيتها و تاريخها الماضي و الحاضر و المستقبل. لا بد للمكان أن ينصهر و يذوب في دم النص و يعطيه صفات جدية حيث يصبح للنص مكان خاص. الطريقة النقدية تكون مجالاً لتجربة حياتية شاملة للأمكنة. (المناصرة،٢٠٠٧م، ص٢٨٨)

يمكن القول إن المناصرة أكثر ما تعامل مع المكان في نصه الشعري يكون على الطريقة النقدية خاصة في تعبيره عن المكان الفلسطيني بما فيه من مدن و قرى.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

عاش عزالدين المناصرة بطبيعة حياته في كثير من البلدان و انعكست كل هذه الأماكن بشكل أو آخر في شعره و لو أن هناك فارق جوهري على حد تعبير الشاعر بين أن تعيش في بلدما، أو أن تزور بلداً ما. و أحياناً نجد أن رؤية مكان لساعات محددة، أفضل من قراءة عدة كتب عنه و المقيم في المكان أكثر دقة في الحكم عليه من الزائر (المصدر نفسه، ص ۲۷۶).

إذا أمعنا النظر في حياة عزالدين المناصرة وعدد البلدان و المدن التي سافر إليها وعاش بها أو زارها لن نستغرب عندما نواجه كثرة القصائد المكانية في مجموعاته الشعرية. و هو يصرح في كتابه جمرة النص أنني عشت في البلدان التالية: بنى نعيم، الخليل، فلسطين ۱۹۴۶- ۱۹۶۴م ، القاهرة ۱۹۶۴م ، ۱۹۷۰، عمّان ۱۹۷۰- ۱۹۷۳، بيروت ۱۹۷۴- ۱۹۷۷، صوفيا ۱۹۷۷-۱۹۸۱، بيروت ۱۹۸۱- ۱۹۸۲، تونس ۱۹۸۲-۱۹۸۳، الجزائر (قسطنطنية ۱۹۸۳-۱۹۸۷)، الجزائر (تلمسان ۱۹۸۷-۱۹۹۱)، عمّان ۱۹۹۱ إلى الآن- نلاحظ أن بنى نعيم ، الخليل ، بيت لحم ، القدس ، رام الله) هي الحلقة المركزية في فلسطين، لأنني لم أعرف سوى هذه المدن، و نلاحظ أيضاً أن الخبرة المكتسبة قادمة من الشرق العربي- الثقافة العربية و الإنجليزية- اوربا الشرقية (الثقافة السلافية- الأقطار المغارقية الثقافة العربية و الفرنسية و نلاحظ أن التشتت هو البنية النواة في هذه الخبرة، و أن النواة الخفية تلاحقني في كل الأمكنة». (عزالدين المناصرة، ۲۰۰۷ م ، ص ۲۷۶).

المكان الفلسطيني

شكل حضور فلسطين و مدنها و قراها في جسد النص الشعرى الفلسطيني علاقه واضحة الأبعاد و القسمات. و نالت اهتماماً خاصاً باعتبارها مخزوناً نفسياً يغذى فينا احساساً لا يضاهى بالفجيعة و فقدان الحرية، لذلك فإن فلسطين بالنسبة للشاعر العربي، لم تكن موضوعاً خارجياً فاتراً، بل كانت جزءًا من موضوع الحرية و الصراع الدامي من أجلها في الوطن العربي. لم يكن اغتصاب هذه الأرض انتهاكاً مجرداً للجغرافية أو عدواناً عابراً عليها، بل هي بالنسبة للشاعر العربي عدوان على حريته و تماسكه، و لذا كان الشاعر يتماهى مع عناصر الموضوع الفلسطيني. (علي العلاق ،۱۹۹۷م ص ۱۵۲).

يحتل المكان الفلسطيني المرتبة الأولى في شعر عزالدين المناصرة. (رزوقة، ص۱۵۵) ذلك أنّه كأي شاعر فلسطيني يبحث في اغترابه و تشتته في الكثير من البلدان العربية و الغربية عن الإنتماء لمكان ما «علّه يجد البديل الضائع في تلك الأمكنة. فالمكان الفلسطيني هو فضاء الشاعر، ولايمكن الإستغناء عنه لأن الحياة كلها فلسطين هي النهر و الماء الذي يحيا به و فيه.» (المصدر نفسه، ص ۱۵۴)

عنى شعراء المقاومة الفلسطينية في أشعارهم عناية فائقة بالأرض الفلسطينية و المكان الفلسطيني، إدراكاً منهم اَن جوهر الصراع العربي- الصهيوني هو صراع على الأرض. فشعراء أمثال عزالدين المناصرة، محمود درويش و سميح القاسم تفاعلوا مع الأرض بتفاصيلها مع الإختلاف بينهم في الأساليب الشعرية. (محمد عبيدالله، ۲۰۰۶م، ص ۱۲۷)

من المدن الفلسطينية الأكثر حضوراً في شعر المناصرة هى مدنية الخليل إذ أن هناك علاقة بين الإنسان و المكان الذي ينشأ فيه و يعيش فيه طفولته، علاقة تنبض بالحياة و المحبة. تتجلى هذه العلاقة، منذ حاول الإنسان أن يتعرف على مكونات المكان و جمالياته و من ثم يحاول أن ينسجم مع المكان الذي أحبّه، ثم ينتقل إلى مرحلة التعاطف و التواصل معه. تلاحم المناصرة بالخليل منذ طفولته، و هو من مواليد بلدة بنى نعيم في محافظة الخليل. فأخذ حب مدينة الخليل يجري في دمه و يلازمه أينما حل و رحل.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

يقول المناصرة عن الخليل: فالخليل من المدن المقدسة في فلسطين مثل القدس و بيت لحم و المدن الثلاث هي: منطقة نفوذي الشعرية، فمعظم أشعاري تستمد أسطورتها من الخليل و بيت لحم و القدس (المناصرة، ٢٠٠٠م ،ص٦٥٣).

إذن فالشاعر يعتمد على الطريقة النقدية عندما يتعامل مع الخليل و المدن الفلسطينية حيث يذوب المكان الفلسطيني في دم نصوصه الشعرية.

إن المناصرة متعلق بالخليل أشد تعلق فقد ملكت مشاعر الشاعر و وجدانه و أصبح كل شيء في هذه المدينة مثار اعجابه و اشتياقه حيث يركز الشاعر على أهم سمة يتسم بها جبل الخليل و هي زراعة العنب. بحيث يكون في حد ذاته إصرار على التمسك بالخليل / الوطن. و هو في تصويره لكروم العنب أو الدالية، لايركز على جمالية الكروم، و إنما يؤكد تشبثه بالوطن فجذوره ممتدة إلى الأعماق امتداد جذور الكرمة في الأرض (محمد عبيدالله، ٢٠٠٦م ،ص ١٣٠).

قلبى يحدثنى أيها السيد / بأئنى سأصبح دالية في الخليل (ج١، ص٢٧٣).

هكذا نلاحظ أن المناصرة يمتاز بخصوصيته، فهو متعلق بالخليل فقد كان مدركاً منذ ديوانه الأول "يا عنب الخليل" (١٩٦٨م) خصوصية الخليل و أهميتها في الصراع مع العدو الصهيوني، و لذلك يمكن القول أنه لا توجد قصيدة له تخلو من الحديث عن الخليل أو طبيعتها أو كرومها أو قراها أو ما تعرف به من الصناعات، وهو واعٍ كل الوعي لدلالة الحديث عن شجرة الكرمة وغنائه للكرم و العنب، هو في الحقيقة غناء للخليل وغناؤه للخليل هو غناء للأرض الفلسطينية (المصدر نفسه، ص ١٣١).

لخمرك، لكرومك، لحقول زوّانك / أغنى / لمناجمك البكر، أخبئك في دمي المتشرد / أنت صرح من لحم، و عظم و دم لايجف (ج٢ ،ص٤٦٠)

إن الخليل بالنسبة للمناصرة تراثه و تاريخه و حاضره و كيانه و مستقبله فنراه يخاطب حتى جماداتها بعد أن أعياه خطاب الأحياء في مدن الرحيل يخاطب عنب الخليل و لصوغ مأساتها شعراً يحكي لذعة الفراق، و يكشف عن ثقل الواقع الذي ألمّ به. و يصعب عليه أن تكون مستباحة الحمى و لذلك يفضل أن تكون كرومها عقيمة على أن يقطف غيره الثمار:

سمعتك عبر ليل الصيف أغنية خليلية / تقول: تقول يا عنب الخليل الحر، لا تثمر / و إن أثمرت، كن سُمّاً على الأعداء، لا تثمر (ج١ ،ص٤٩)

إنه موقف الرفض و التمرد على واقع أصبح فيه المكان سلبياً، يأتى في قالب شعري وهذا ما يؤكده المناصرة في حوار صحفي قائلاً: و رغم أننى عشت ثمانية عشر عاماً في الخليل و البقية في مدن كبرى، إلا أننى بقيت أدور حول النواة المركزية و معظم الشعراء في العالم فعلوا ذلك، فقد كانت الخليل بدون إحتلال. لهذا لا أراها إلا طفلة برئية خالية من الاحتلال فمن يرجع لطفولتي براءتها الأولى؟! و هذا لا يعنى أننى أشعر نوستالجياً. بالعكس فقد اعتدت تدميرالحنين و أقمت عماراتي الشعرية الجديدة، و لكن من تراب الأرض. (عزالدين المناصرة ،٢٠٠٠م، ص ٦٥٤).

فشعر المناصرة في الخليل «يتسم بدعوة الإلتحام الكلي بين الإنسان و الأرض، بين قضايا الإنسان و الأرض، و بأن اكتشاف الأرض يعنى اكتشاف الإنسان لذاته، و هو يقودنا إلى مساواة الإنسان كقيمة في الأرض، كقيمة أخرى (شاكرالنابلسى، ١٩٨٧م، ص ٢٥٦)

و التشبث بالطبيعة و الأرض مما اعتنى به معظم شعراء المقاومة الفلسطينية حسب ما يقول يوسف الخطيب:إن التين و الزيتون و السنديان و الخروب في أعلى الجبال، قد تخلى الشعراء الآن عن كثير من قيمتها الجمالية المجردة في الطبيعة،

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

يستولدوا منها قيماً فذة جديدة مثل: الواهة، و الشموخ و الإلتحام الأوثق و الأبقى بجسد الأرض عبر ألوف السنين. (يوسف الخطيب، ١٩٦٨م، ص ١٤)

و من ملامح انسجام و التحام المناصرة بالخليل، إصراره في شعره أن يكون قبره في كرم من كروم الخليل، بني نعيم بالقرب من دالية أو صنوبرة أو زيتونة و ... و هو يتوحد مع المكان الخليلي الذي هو مسقط رأسه و يتواصل معه حتى في الموت:

فادفن عظامي يا حبيبي، تحت كرمتنا / على الجبل العتيق (ج١، ص١٠)

تحضر الخليل بكل مواصفاتها و حتى أسمائها الكنعانية في شعر المناصرة منها أربع و حبرون و هما أسماء كنعانية لمدنية الخليل على حد تعبير الشاعر.

ومتى ترجع وهل في القبر من يسمع!/صراخ فؤادك المحموم/إذا الأحياء ما توافي ذرى«أربع»(ج١، ص٥٣)

و نراه يتواصل مع مسقط رأسه بني نعيم و حبرون و مع جبال البحر الميت و مع الكرمل و مع غيرها من الأمكنة التي تحقق للشاعر غاياته التعبيرية.(عيسى الخضور، ٢٠٠٧م،ص٩٠)

فالمكان حاضر في وجدان الشاعر الذي يبحث عن الخروج من سراديب الغربة الظلمة:

و حول مقابر الموتى من الأحياء / تظل تحوم طول الليل، جنيّة /تغنى الليل أحلام الثكالى ... و الدجى المأمون/ و تلعن من أطالوا الليل، حبرون (ج ١ ، ص٥١)

يكثر حضور الخليل في نص عزالدين المناصرة الشعرى و يتذكر أيام طفولته و دراسته في المدرسة إلى التحسر على مهب الخليل، إنه يشتاق إلى كل ما في الخليل من مظاهر الحياة و التراث و التقاليد والعادات:

و أرى الخليلَ، حبيبى نهباً لتجار الممالك / و أشم رائحةً/ فحاذر، إنهم حرباء تظهر في الفصول/أخشى، إذا طلع النهار/تصير بيروت- الخليل (ج ١، ص ٤٧٩)

و هو بذلك يبدي حزنه على احتلال الخليل كما يخاف على بيروت أن تصبح مثل الخليل و بذلك يسجل الأحداث و الوقائع:

مستعيناً بخيط الخليل/ سوف أمسك شجرة الصنوبر في مدرسة عين سارا الثانوية /سوف أمسكها، أعصرها /حتى تذوب الخليل في كأسي/ أشربها دماً في مرارة الخروج و الفراق.../ثم يأخذنى دمي إلى دم الخليل (ج١، ص ٣١٠ - ٣١١)

يقول المناصرة في حوار: أما الخليل فهي المبتدأ و الخبر، وهي حبي الأول و الأخير، لكن الإسرائيليين دمروها و شوّهوا معالمها و قسموها إلى (H.١) و (H.٢) بموافقة السلطة الفلسطينية، فعلى العالم أن يعيد لي طفولتي في مدينة كانت خضراء و بيضاء و نظيفة من الإحتلال. (جعفر العقيلي، ص ١٤٨)

ثنائية الوطن/ المنفى

يعد المكان همّ المناصرة الأساس و منذ خروجه من الخليل و الحضور في المنافي يبحث عن مكان يشعرفيه بحتمية الإنتماء وذلك منذ ١٩٧٠م، و حول المكان تتمحور هموم المناصرة (زياد ابوالبن، ٢٠٠٦م،ص٣٤١) انطلاقا من ذلك أصبحت ثنائية الوطن/المنفى القطب المكاني الأساسي الذي يميز شعره.

إن ظاهرة الإغتراب في المنفى مما تتجلى واضحة في شعر المناصرة و قد يعبر عنه بوادي الغرباء:

ضاع ملكي/ أكلتني الغربة السوداء، يا قبر عسيب/ حارتي، إنا غريبان بوادي الغرباء (ج ١ ، ص١٤)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

و قد يعبر عنه بالوجع:

فرسك حمراء، و تجرى بين قصورك يا صبرا و شتيلا/ و المنفى من وجعٍ/ لا يؤمن جانبه/ حتى نرديه قتيلاً (ج١ ، ص ٤٢٨)

يقول في موضع آخر:

و دمي مونة الأبجدية / وزعتُها في فضاء المدن/ و أعطيتها شفرة الاسئلة/ انظروا للشقوق التي في جبين الوطن/ انظروا كل هذا الرحيل المؤقت و العودة الآجلة/ و هذي البنايات و الجامعات و هذي القصور/ عظامي أساساتها و الجذور/ كل هذي المنافي لنا (ج٢ ، ص ١٨٣)

و هو يصور الشعور بالغربة في المنافي حيث أنه يقول مدن و لا مدني- ثم يتكلم عن طول المنفى الذي يتحول من الرحيل الموقت إلى العودة الآجلة وأخيراً يشير إلى أن هذه الأماكن التي أعيش فيها هي المنافي ولا أكثر. و قد يدفع المنفى بالشاعر إلى أن يصور غربته و نوم سكان المنافي، إذ شبهها بمدائن النوم.

عرّجتُ صوب مدائن النوم الكسيحة أستغيث /الكل أقسم أن ينام/ قدم على قدم و مثلك لا ينام/حجرهو المنفى و صوّان و شوك من رخام (ج١ ،ص ١٧٤ – ١٧٥)

يعبر الشاعر عن الوطن بالمدن الخضراء التي يعيشها و يأتي بها ليقابل المنفى:

كيف اصالح منفاي و منفاك/ مع المدن الخضراء اللائي/ تعشق و المدن الخضراء اللائي نعشق سواء / ذهبٌ، حرس و مكاتب يا قوت/ و لا تبقين بمنفاك، و لا أبقى بشوارع بيروت (ج٢، ص ١٧)

ثم يشير إلى شدة المنفى و اضطهاد الشاعر فيه:

المنفى خشب و مسامير/ المنفى يا جفرا قبر مفتوح/ المنفى مكب مسعور.../ ينفل في فكيه الدود/ المنفى توقيف، و حدود/ المنفى خوفٌ، أو جوع/ المنفى جذر مخلوع/ المنفى يا جفرا (ج٢ ، ص١٧)

هذه هي صورة المكان (المنفى) رسمها الشاعر بهذه التعابير العميقة التي تدل على صعوبة الحياة فيه و في تكرار كلمة المنفى دلالة على مدى تألم الشاعر و احساسه بالمعاناة في المنفى.

قال لها أن تذهب معه لحقول الزوّان/ قالت: في الدير مرابعنا، و المنفى من حجر الصوان/ هيه هيه هيه هيه/ و أنا اعشق زوّان بلادي، اكرهُ قمح المنفى.../ هل نبقى في منفانا (ج ١ ، ص ٣٣)

إن المكان عند الشاعر يتصل أكثر بالماضي أي بالوطن، إذا انه فارق وطنه الأصلي لمدة طويلة و النصوص التي تتضمن المكان، تعبر عن الوطن من الخارج ، من المنفى و هي لا تعتني بجماليات المكان الجغرافي بل تهتم بتفاصيل الحياة اليومية في المنفى:

و بكيت فوق الجسر بين المقدس فالوادى السحيق / و صرخت من يأسي و من طول السفر/ لو مات فارسك المجيد و مات ناطور الشجر/ فادفن عظامي، يا حبيبي، تحت كرمتنا، على الجبل العتيق (ج١،ص ١٠)

يتخذ اسم المكان جفرا في نص عز الدين المعنون بـ" جفرا أرسلت لي دالية و حجارة كريمة " دور شخصيات انسانية و يؤكد الفعل" أرسلت " بعد هذه الشخصية عن مكان المتحدث ولكن السؤال هاهنا ما دلالة الدالية و الحجارة الكريمة؟ إن العنب يتكرر كثيراً في شعره بحيث أصبح عنوان إحدى مجموعاته"يا عنب الخليل" و هو يوحي بالتعلق الشديد بخصوصيات المكان الأول. كما أن جفرا تشكل المكان المركزي في النص.(كحلوش، ص١٤٨)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

من لم يعرف جفرا .... فليدفن رأسه / من لم يعشق جفرا .... فليشنق نفسه/ فليشرب كأس السم الهاري يذوي يهوي ويموت .... جفرا (ج٢،ص٧)

المنفى يعتبر دالاً عن الوطن ككل بسبب الإتصال الدائم مع الشاعر و هذا هو التعايش الوجداني للمكان و عناصره ، فمهما انمحى الوطن واقعياً فهو يظل متأججا في الذاكرة و في الشعور.

كما أن نص «**دادا ترقص على ضفة النهر**» يعد أيضاً شكلاً من أشكال تجسيد ثنائية الوطن/المنفى، تشير لفظة دادا في العنوان إلى امرأة و الإطار المكاني الذي يضمها هو ضفة النهر يتداخل الماضي بزمكانيته في هذا النص و الحاضر بزمكانيته أيضا، و المكان الرئيسي الرابط بينهما هو جنة اللوز و هو مكان مجازي. إنها جنة اللوز في الحلم. (كحلوش، ص١٥٦)

تتجلى فكرة ثنائية الوطن/المنفى بالنسبة لعزالدين المناصرة بالنظر في نص «قمر جرش كان حزينا» و هو نص مقسم الى سبعة مقاطع المكان-البؤرة و الذي يشير إلى قطب الوطن هو البيت القديم في مدينة الخليل لفلسطين و هو بيت قد فقدت فيه عناصر الحميمية والحمائية ، فاستحال إلى مكان شعري له قيم أخرى.(المصدر نفسه، ص١٦٠)

تجدر بنا الاشارة إلى أنه رغم كثرة حضور القصائد المكانية في أعماله الشعرية - أي وجود أكثر من ستين قصيدة من مجموعة ٢١١ قصيدة و التي تدخل ضمن ١١ مجموعة شعرية - لكننا قد لانجد ارتباطاً وثيقاً بين العنوان المكاني و النص الشعري أو بين عنوان الديوان وعناوين قصائده المكانية لأنها لاتمثل حالة نفسية واحدة، و قد كتبها الشاعر في سياقات مختلفة.

الزمكانية في شعر المناصرة

من الصعب الفصل بين المكان و الزمان في دراسة أي عمل إبداعي ذلك لكون امتزاجهما في جوهره امتزاج عضوي في صنع الموقف داخل العمل الإبداعي؛ لأن المكان و الزمان أكثر اقتراناً و أشد التحاماً مما يتصور الفلاسفة. فالشعراء بسبب هذا الإقتران كثيراً ما يستعيرون الألفاظ الدالة على الزمان للتعبير عن المكان. فالتجربة الفنية يتكون فيها الموقف بحسب طبيعة المكان و الزمان و تشابكهما فيما بينهما و فيما بين العناصر الأخرى المكونة للعمل الإبداعي ، من لغة و مضمون و موقف و غيرها من العناصر.(بلوحي،٢٠٠٤م، ص١٠١)

يشكل الزمان و المكان قطبين أساسيين في العمل الإبداعي ، يؤديان دوراً أساساً في تكوين هوية الكيان الجماعي للشعوب ، كما يعبر عن المقومات الثقافية و المعرفية و الجماعية لكل شعب من الشعوب و بذلك يصبح المكان و الزمان رمزاً انسانياً يأخذ في كثير من دلالاته منحىً جمالياً.(المصدر نفسه ،ص١٠٢)

إن انعكاس الزمن على المكان، و تصوير الزمان بمعطيات و مدلولات مكانية، يرتبط أساساً بالتجربة التي هي عماد كل تشكيل و رؤية شعريين، بحيث يتداخل الوعي بالمكان بالوعي بالزمان و يمتزجان، ليصبح هذا الوعي أحد المرتكزات الهامة في فهم خلفيات العملية الإبداعية الحداثية و تقدير قيمها الفنية و الأدبية و الفكرية و تحديد مدى صلتها بالواقع الإجتماعي و الحضاري .(قادة عقاق، ٢٠٠١م، ص٣٣٥)

و هناك ارتباط وثيق بين المكان الذي يصوره و يجسده الشاعر في انتاجه و بين الزمن الذي عاش أو يعيش و هو يصب معاناته طوال الزمن على المكان كما يتحسر على ضياع المكان في فترات زمنية محددة من حياته.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

يقول باشلار: إن المكان، في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها يحتوى على الزمان مكثفاً، هذه هى وظيفة المكان.(غاستون باشلار، ٢٠٠٦م، ص٣٩).

من أبرز تجليّات الزمكانية chronotope في شعر المناصرة ما كتبه في سهل مجدو و «هو أحد أهم مناطق التمركزالسكاني القديم حينما مارس كنعان طقوسه الزراعية في سهول فلسطين» (رضوان، ١٩٩٩م، ص٣٤).

سأدندن انشودة سهل مجدو / عودى / هذا عودي الاخضر فوق شفاء الكنعانيات / هذا درب البرقوق على خارطة مهترئة/ هذا مفرق معصرة الزيتون / هذا أثر الثعلب في حقل القثاء (ج١، ص٣١).

و مجدو هذا السهل الذي شهد سيطرة الغزاة و شهد القضاء على الحضارة الكنعانية كما شهد معاصراً الاستيطان الصهيوني و طرد الأهل و استحلال الأرض من جديد.

إذن لم يكن اختيار الشاعر لمجدو اختياراً عشوائياً، إنه وعي كامل لبعدي الزمان و المكان، رمز مجدو إذن هو رمز الزمان و المكان معاً في اتحادهما و تواصلهما، و صراع الحياة بينهما للوصول إلى الفرح القادم عندما يتجلى التواصل بين جفرا و عاشقها (رضوان، نفسه؛ ص ٣٤).

و أوزع قافيتي و خيولي بين مجدو ... و مجدو/ في سهل مجدو يرتفع الكنعاني / الأخضر زرعي داسوه بجرافات (ج١، ص٣٣).

تجدر الاشارة إلى أن قصيدة جفرا في سهل مجدو من ديوان يا عنب الخليل (١٩٦٨م) تتكون من ٨٧ سطراً شعرياً توزعت بين مقطعين، في المقطع الأول يتواصل الشاعر مع الرموز، مع الطبيعة، مع المكان معتمداً الزمن المستقبلي في افتتاح المشهد (سأفكفك، سأنتف، سأفتت، سأخربش، سألقاك و ...) بينما المقطع الثاني قد أصبح التواصل فيه زمناً ماضياً و التذكر هو السائر على فضاء النص: القيت، فكفكفت كانت جفرا أنقى من ثلج السهل. (انظر رضوان، نفسه ،صص ٣٢ -٣٣).

و لما يوظف الشاعر مدينة أريحا و هى أقدم مدن المعمور في قلب بلاد كنعان، يبدي براعته و قدرته الشعرية باستخدام الألوان كما أنه جمع المكان و الزمان في بنية واحدة، و وصف أريحا بخطاب زمني:

أما أريحا ، جذرنا المغروس في التاريخ / ناديتها: صفراء يا صفراء يا صفراء / خضراء يا خضراء يا خضراء / يا جمرة الصيف التي تضيء في الشتاء (ج١ ، ص ٩٥).

يلاحظ في هذا المقطع كيف تحول المكان في ذاكرة الشاعر إلى لون، مما يثير لدى المتلقى سؤالاً، لماذا هذا اللون الأصفر أولاً ثم الأخضر؟ فيأتي الجواب مبرزاً خصوصية أريحا فهي مدينة غورية – تضيء في الشتاء- و الأصفر هو لون الموز التي تنتجه و الأخضر هو لون ورق الموز، و ورق النخيل، و هو لون الربيع، ربيع أريحا الشتوي، عندها تبدو دلالات اللون واضحة (رضوان، ص٢٩).

يقول المناصرة: ولدت في المكان و إليه سوف أعود. المكان حقيقية أبدية و بالنسبة لي ولدت في فلسطين أقدس الأمكنة في الكرة الأرضية فأنا من جيران المسيح و محمد عليه السلام عندما اختار أن يسري اختار وطني و ابراهيم عليه السلام عندما أراد الهجرة من العراق اختار مدينتي، و أقدم مدينة في العالم هى أريحا إحدى مدن وطني، لا تقاس الأمكنة بمساحتها و لا بعدد أمكنتها، بل بجاذبيتها الإنسانية (المناصرة ،٢٠٠٠م، ص٢٩٦).

وقد نراه يربط بين الزمن الأسطوري و المكان القديم و الجديد في بنية قصيدته:

شجيرات السّدر تجيء محملة/ لعطور الكنعانيين/ يشدّون الخيل على الساحل/ يبنون متاريس على المرج المنبسط/ من الناقورة حتى الرمل.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

و بذلك يستمد الشاعر صوره الشعرية مما يمكن تمثله قائماً في المكان. و يجعل للمكان نسقاً خاصاً به، و من خلال تصويره للمكان الذي أحبه، و أقام فيه ليعكس نفسيته. فلا تغني القصيدة عن المكان، فهي من دونه تفقد خصوصيتها بل بنيتها و القصيدة بنية زمانية و مكانية (عزالدين اسماعيل، ١٩٨٨م ،ص ٥٦)

و هذا ما انتبه إليه المناصرة عبر قصائده. و يؤكد دوماً أننى منذ طفولتي تعلقت بعشق الأمكنة و التفاعل مع التاريخ، و لهذا تسلل التاريخ في قصيدتي بفطرية لأن روحي مشبعة بشظايا التاريخ (رضوان، ١٩٩٩م، ص ٤٢٣).

إذن هناك صلة وطيدة بين الشاعر المبدع و علاقته الحميمة بالمكان الذي نشأ و ترعرع فيه، تنعكس هذه العلاقات في انتاجاته كما يؤثر المكان في إطار الزمن على خطاب المبدع.

حتى أن لغة القصيدة على حد تعبير عزالدين اسماعيل و إن كانت زمانية في طبيعتها، فهي تحتمل دلالات مكانية. فحين يستخدم الشاعر اللغة، أداة للتعبير إنما يقوم بعملية مزدوجة في وقت واحد، إنه يشكل من الزمان و المكان معاً، بنية ذات دلالة. (عزالدين اسماعيل، ١٩٨٨م، صص ٥٥ – ٥٦).

ثنائية المكان العربي / الغربي

رغم أن المكان المسيطر على نص عزالدين المناصرة هو المكان العربي خاصة الخليل بني نعيم وهي النواة و المكان المركزي إلا أن المكان الغربي يحضر في ديوانه عندما يذكر الشاعر البلدان التي مرّ بها أو عاش فيها فترة من الزمن. أفرد المناصرة بعض قصائده للمكان العربي بشكل عام و تعامل به في نصه الشعري على الطريقة السياحية أولاً و الإلصاقية ثانياً.

يلتقي المكان العربي بالمكان الغربي في بعض نصوصه "جفرا زارتني في صوفيا وعادت إلى قبرها في بيروت" والعنوان يدلنا على هذه الثنائية حيث تتقابل صوفيا كمكان بلغاري أوروبي مع جفرا كمكان عربي فلسطيني ، وصوفيا تقابل جفرا لأنها جزء من المنفى الكبير و جفرا جزء من الوطن الكبير. (كحلوش،ص٢١٠)

ومن منكم سيصدق: جفرا تطوف شوارع صوفيا/ نعم إن جفرا تزور الحب إذا ما أراد/ ولو أنها تقطع البحر والرمل تغترف/ الانتظار، وتنتظر المهزلة/ على مرفأ البحر ، عند المطارات ، عند الجمارك

ونجد تقابل ملامح المكان الغربي مع بعض ملامح المكان العربي (صوفيا في جفرا)

كثيراً ما يوظف صوفيا مع الأمكنة العربية فصوفيا التي هزت الشاعر راح يقارن بينها وبين وطنه، سواء الوطن الصغير أو الوطن العربي ككل. وهو المكان التاريخي وليست صوفيا الجغرافيا.

يحضر المكان العربي من مصر و بيروت و الجزائر و الأردن على جانب المكان الفلسطيني في كل مجموعاته الشعرية بداية من "عنب الخليل"(١٩٦٨م) إلى "لا سقف للسماء"(٢٠٠٨م) و مازال المكان هو النسيج الأساسي والخليل هو المكان المركزي في شعره.

و قد يتجلى المكان غير العربي منفى غريباً لا يعرفه الشاعر:

كانت موسكو، تبكي مطراً أخضر كالبّلور/ شاهدت خيولاً، فوق السفح الأصفر بين الأشجار/ زغردت الفرسُ البيضاء: آ ... وى ... ها/ يا مُدُناً لا تعرفني/ إلا مقتولاً أو مطروداً في أرض الله (ج٢ ، ص ٢٧)

يرسم الشاعر لوحة ملوّنة عندما يذكر يوماً مطراً في موسكو فيأتي بصورة المطر الأخضر و السفح الأصفر و الفرس الأبيض لكي يقول أنه عابرٌ فيها لا قرار له بها، حيث يؤكد يا مدنا لا تعرفيني إلا مقتولاً أو مطروداً في أرض الله.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

لعل أروع لوحة مكانية في انتاج المناصرة الشعري ما تجلّت في قصيدة تحت عنوان «وصيّة» حيث يرسم قائمة المدن و البلدان العربية و الغربية، معبراً عنها بمدن الترياق:

خذ سفري في مدن الترياق: من مصر المحروسة/ حتى بيروت الصافية الأعماق/ من عمّون- الحسب الأخوي/ مدى الدهر/حتى موسكو ... ماياكوفسكي/ و الفودكا... تحت الصفر/ من قلب اليونان، البيضاء الدور/ حتى كريستال براغ- البلوّر/ من بط النهر، إلى بيرتها السوداء/ خذ هذا الرقص السلافي الأحمر/ في مطعم زاغرب/ الفالس الغجرى، على قمة بودابست/ خذ كأس الكركيا في صوفيا الثلج/ واشرب قرب بحيرتها/ حتى ينفلق الديك الأفاق/ خذ قهوتك السمراء/ في مقهى جوته البنيّ/ من جسر ساريیفو، حتى جامعة العشاق/ خذ رأسي للحلاق/ لا تتركني ابداً/ أبداً أبداً أبداً/ في منفى الطين/ لاتتركني في هذي الصحراء/خذ جسدي لفلسطين/خذ جسدي لفلسطين/خذ جسدي لفلسطين (ج٢،صص٦٣-٦١)

يعد الشاعر المدن و البلدان العربية و الغربية التي سافر إليها و ذاق طعم النفي فيها و هو يصور كل مكان بصفته المشهورة أو ما تركه لدى الشاعر من ذكرى، من مصر المحروسة، بيروت الصافية الأعماق، موسكو ... و هو يذكر اكثر من ١٤ مكاناً بدلالات و اشارات ثم في نهاية المطاف يقول «لاتتركنى في منفى الطين» مشيراً إلى مرارة الإقامة في المنفى و رغبته الشديدة للوطن حتى بعد الممات: خذ جسدي لفلسطين.

الاستنتاج

- تعد الكثرة العددية للقصائد المكانية من أبرز الظواهر في شعر عزالدين المناصرة حيث تحتل هذه القصائد أكثر من ٣٠ بالمئة من مجموعة قصائده.

- المدن الفلسطينية لاسيما الخليل ،بني نعيم و القدس أكثر حضوراً من سائر الأماكن العربية و الغربية في شعره و هى خيوط تربط الشاعر بهويته و وطنه الأول.

- إن المنافي تتجلى في كل أشكالها لتعبر عن معاناة الشاعر و آلامه و هي صورة سوداء أو مشاهد غريبة يتوجع فيها الشاعر و يبحث عن خلاص منها، و كثيراً ما تأتي بأسلوب رمزي.

- لعل من أبرز مميزات شعرية المكان في تجربة المناصرة ظاهرة الزمكانية التي تدل على قدرة الشاعر في تصوير التاريخ و الجغرافيا في خريطة أعماله الشعرية.

- استعانة الشاعر بالألوان في التعبيرعن ملامح مكانية هي الأخرى يمتاز بها شعرعزالدين المناصرة.

- أكثر ما يتعامل الشاعر عزالدين المناصرة مع المكان الذي يعد من بنية شعره الأساسية على الطرق الثلاثة النقدية و السياحية و الإلصاقية على الترتيب .

- انفتاح الشاعر على المكان العربي و تواصله مع كل مكان زاره أو عاش به بتنوع أشكال المكان في بنيته الشعرية و تداخل الزمان و المكان من ناحية، و النص و الشاعر و المكان من ناحية أخرى في بنية لغوية واحدة من تجليات الشعر المكاني في تجربة المناصرة الشعرية.

المصادر والمراجع

[١] ابولبن،زياد: غابة الألوان و الأصوات، مطبعة اليازوري ، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

[٢] أسعد، سامي: مفهوم المكان في المسرح المعاصر، مجلة علم الفكر، مج ١٥، عدد٤، ١٩٨٥. www.ruowea/vb3

[٣] اسماعيل، عزالدين: التفسير النفسي للأدب، دارالعودة ، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

[٤] باشلار، غاستون: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط٦، ٢٠٠٦ م.

[٥] بلوحي، محمد: آليات الخطاب النقدي العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤م.

[٦] بنيس، محمد : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، الدار البيضاء، المغرب، لاتا .

[٧] الخضور،صادق عيسى: التواصل بالتراث، دار مجدلاوي، عمّان، ط١، ٢٠٠٧ م.

[٨] الخطيب، يوسف: ديوان الأرض المحتلة، دمشق، ١٩٦٨م.

[٩] رزوقة، يوسف :عزالدين المناصرة، شاعر المكان الفلسطيني الأول، الأردن دار مجدلاوي، عمّان، ط١، ٢٠٠٨م.

[١٠] رضوان، عبدالله: امرؤا القيس الكنعاني، قراءات في شعر عزالدين المناصرة، عمّان، المؤسسة العربية، ط١، ١٩٩٩م.

[١١] عبيد، محمد صابر: جماليات القصيدة العربية الحديثة ، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٤م.

[١٢] عبيدالله، محمد: شعرية الجذور، قراءات في شعر عزالدين المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، ط١، ٢٠٠٦م.

[١٣] عثمان ،اعتدال : اضاءة النص، دار الحداثة، بيروت،لبنان، ١٩٨٨م.

[١٤] عقاق، قادة: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.

[١٥] العقيلي ، جعفر: عزالدين المناصرة، مجلة نزوى، العدد ٤٤، ص١٤٨.

[١٦] العلاق، علي جعفر: الشعر و التلقي، دارالشروق، عمّان، ط١، ١٩٩٧م

[١٧] كحلوش، فتحية: بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري ، الانتشار العربي ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

[١٨] المناصرة، عزالدين: الأعمال الشعرية ،الجزء ١ و ٢، دار مجدلاوي، عمّان، ط١، ٢٠٠٦م.

[١٩] المناصرة، عزالدين: جمرة النص الشعري، مقاربات في الشعر و الشعراء و الحداثة و الفاعلية، دار مجدلاوي، عمّان، الاردن، ط١، ٢٠٠٧ م.

[٢٠] المناصرة، عزالدين : شاعرية التاريخ و الامكنة، حوارات مع الشاعر، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م

[٢١] المناصرة، عزالدين: لا سقف في السماء مجموعة شعرية، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٩م.

[٢٢] المونسي،حبيب: فلسفة المكان في الشعر العربي، دمشق اتحاد اللكتاب العرب، ط ٢٠٠١

[٢٣] النابلسي، شاكر: مجنون التراب، العلمية العربية للنشر، عمّان، ط١، ١٩٨٧م.

[٢٤] النصير، ياسين: اشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

[٢٥] النصير، ياسين: الرواية والمكان، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦م.

[٢٦] هلو، الطيب: صورة المكان في شعر محمد لقاح، ٢٠١٠ www.essanad.net

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]

تجلیات مکان در شعر عزالدین المناصرة

رقیه رستم پور ملکی[۱]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۹/۲/۲۱ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/٤/۲۳

از بارزترین ویژگی‌های متون شعری معاصر به‌ویژه شعر فلسطینی حضور مکان با رویکردها و اهداف گوناگون و نحوۀ تعامل و برخورد شاعر با این عنصر است، شاعر معاصر فلسطینی با کاربرد انواع مکان اعم از دور و نزدیک عربی و غربی، محل زندگی یا تبعید افق جدیدی به روی شعرش باز کرده و کارکرد آن را در شعر خود تجربه می‌کند. هدف شاعر از این گونه کارکرد، معرفی خود و فراخوانی میراث قدیم و تأمل و اندیشه در وضعیت کنونی جامعه و روزگار خود می‌باشد.

عزالدین مناصره از جمله شاعران به‌نام فلسطین است که عنصر مکان از جایگاه خاصی در شعرش برخوردار است اغلب شعر او سرشار از ذکر شهرها و جایگاه‌ها و اماکنی است که در آن زندگی کرده و یا از آن دیدن نموده است. فضای شعری این شاعر فلسطینی را چهره و تصویر اماکن فلسطینی و عربی و حتی اروپایی پر کرده تا جایی که هیچ قصیده‌ای خالی از ذکر مکان نیست. گاهی نیز زمان و مکان پیوندی محکم در قالب ساختار زمان – مکان در اشعارش پیدا می کند.

این مقاله درصدد است ضمن نگاه اجمالی به تصویر و تجلیات مکان در شعر مناصره به نحوۀ تعامل و برخورد وی با مکان و به‌کارگیری فنی آن بر اساس دیوان دوجلدی و آخرین مجموعه ی شعری وی بپردازد.

واژگان کلیدی: عزالدین مناصره، شعر معاصر فلسطین، تبعیدگاه، وطن، زمان/ مکان

۱. استادیار دانشگاه الزهرا (س)، تهران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2025-08-12]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.3.2.8]